المنهج السياسي

عند الامام علي (ع)

الشيخ عبد الهادي عاصي

تقديم

سماحة اية الله السيد محمد حسين فضل الله

دار الأمير

الطبعة الأولى

١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م



دار الأمير للثقافة والعلوم ش.م.م

طباعة - نشر - تأليف - تحقيق - ترجمة

مؤسسة تعنى بالنتاج الفكري وتواكب تطوره

ص. ب: ١١٣/٥٥٥١ الحمراء

هاتف: ٨٢٢٠٢٤ فاكس: ٦٠٢٢٧٩ بيروت - لبنان

مقدمة الناشر

ومقدمتي خواطر . . .

كلمات في إمامنا العظيم الذي قال عنه جبران «عليٌ ولد في غير زمانه» ولكننا نقول ان علياً (ع) في نهجه هو الزمن لكل الأزمان، شرط ان نعرف أنفسنا ونحترم عقولنا.

هي كما قلنا كلمات نرسلها لذاك المسك السحيق في نهجه الأشم، حين يشع ضوء الآقاحي في روضه المستطاب. . .

واكف الريح ما زالت تصافح برقه في برد القشيب. . . وهزيع النجم ما زال يهتز لصهيل خيله. . . ودمه الزاكي وهو الأمير. . نديً يكتحل به كل ثائر حين نفهم هذا. . عندها نبدأ بإستقراء علي. .

امامي والفؤاد ما زال في شواظ حره، يرقب الزمان الذي كانت فيه خُطبك على أمية عبثاً، وهي الآن علينا وعلى من ولاك حجة، وأنت الذي سألك الكُل وكنت

الغني عن الكُل... فأنت إمام الكُل... كيف؟ الخليل بن احمد خير ناطق شاهد..

مولاي أردت بهذه الكلمات حبراً ينطق على القرطاس بولائي... فعلني أقترب من سن نورك الأقدس، فتقبلها مولاي مني وأنت الكريم الجواد.

وأنا ما أردت التعريف بالكتاب فمولانا سماحة السيد محمد حسين فضل الله قد اغنى وأوفى، ولكن كانت فرصة لهذه الخلجات أن تطفوا، فطفت، فللمؤلف الدعاء بطول العمر والتسديد في خدمة هذه الأمة ولك أخي القارىء كامل المحبة والدعاء.

محمد حسين بزي

١٩/١٠/٩٦

تقديم لسماحة آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله (حفظه الله)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين وأصحابه المنتجبين وعلى جميع الأنبياء والمرسلين .

وبعد ، فإن هذا الكتاب « المنهج السياسي عند الإمام علي عليه السلام » قد استطاع ان يعطي فكرة عن النقاط الحيوية في المنهج السياسي لدى الإمام من خلال اللقطات المتنوعة من كلامه في مختلف الجوانب الحية للعناوين السياسية في الحكم وحركة الواقع مع بعض المقدمات المفيدة في المصطلحات السياسية المتداولة ومعالجة الفكرة التي تتحدث عن رفض انفتاح الدين على السياسة بالطريقة التي تثبت العلاقة العضوية بين الدين والسياسة من خلال المفهوم الأصيل للسياسة التي تمثل النهج الذي ينظم للناس العلاقة بين الحاكم والمحكوم وبين الرعية في علاقاتها ببعضها وبالدولة والحياة .

إننا نقدر لعزيزنا فضيلة الشيخ عبد الهادي عاصي هذا الجهد المشكور في توضيح هذه الأمور ونامل له المزيد من التقدم العلمي والعطاء الثقافي والتحرك الرسالي في سبيل الدعوة الى الله ، مع كل محبتنا ودعاءنا له بالتوفيق والتسديد ورواج كتابه بين القرّاء .

والله الموفق وهو حسبنا ونعم الوكيل .

٥ ربيع الثاني ١٤١٧ هـ

محمد حسين فضل الله

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين

وأصحابه المنتجبين وعلى جميع الأنبياء والمرسلين

وبعد فإن هذا الكتاب « المنهج السياسي عند الإمام علي عليه السلام »

قد استطاع أن يعطي فكرة عن النشاط الحيوي في المنهج السياسي

لدى الإمام من خلال النشاطات المتنوعة من فكره في مختلف الجوانب

الحية للشؤون السياسية في الحكم وفي حركة الواقع مع بعض التحديات

المثيرة في المصطلحات السياسية المتداولة ومعالجة الأفكار التي تتحدث

عن رفض انفتاح الدين على السياسة بالطريقة التي تثبت العلاقة

العضوية بين الدين والسياسة من خلال المفهوم الأصيل للسياسة التي

تمثل المنهج الذي ينظم للناس العلاقة بين الحاكم والمحكوم وبين الأفراد

في علاقاتهم ببعضهم وبالدولة وبالحياة.

إننا نقدر لعزيزنا فضيلة الشيخ عبد الهادي عاصي هذا الجهد المشكور

في توضيح هذه الأمور ونأمل له المزيد من التقدم العلمي

والعطاء الثقافي والتحرك الرسالي في سبيل الدعوة إلى الله مع كل

محبتنا ودعائنا له بالتوفيق والتسديد وهو [illegible] به بين القراء

والله الموفق وهو حسبنا ونعم الوكيل

محمد حسين فضل الله

٥ ربيع الثاني ١٤١٧ هـ

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه وأعز رسله سيدنا ونبينا محمد وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين ومن تبعهم بإحسان إلى قيام يوم الدين وبعد .

عندما تنطلق كلمة السياسة يتبادر إلى أذهان الكثير من الناس (المكر والخديعة والإحتيال واللف والدوران) .

بسبب ما لهذه الكلمة من سوابق سيئة . وهذا الإنطباع هو أمر متوقع بسبب السياسات التي إتبعها الحكام الذين تسلطوا وتحكموا بالبشرية إلى الآن .

وطبعاً هذه القاعدة لا يستثنى منها إلا القليل من الحكام العدول والرجال الربانيون الإلهيون الذين إعتمدوا على الرسالات السماوية مع ماصاحبها من الهام وتسديد وتوفيق وتأييد رباني .

ومما لا شك فيه أن الإمام علي (ع) كان واحداً من أولئك الشخصيات القليلة والنادرة التي وضعت منهاجها السياسي على أساس الرسالة السماوية وعلى أساس الفضائل والكرامة الإنسانية بغض النظر عن قول القائل وعتب العاتب لأن هذه السياسة قد كلفته كثيراً وغالباً كما جعلت له أعداء كثيرين كما قال هو (عليه السلام) (ما ترك لي الحق من صديق) وقفوا في وجهه وحاربوه بكل الوسائل المتاحة عندهم ولكن مع ذلك بقي مجسداً لمنهاج

مليء بالفضائل والقيم وبقّي قدوة للآخرين وبقي معلماً للأجيال وشمعة تضيء الدرب للتائهين على طول التاريخ السياسي الإسلامي وقد ظهر أناسٌ آخرون إنتقدوا الإمام ع) بسبب إتباعه لهذا الإسلوب السياسي وبسبب إعتماده على الحق والفضيلة بحجة إن ذلك يخلق المشاكل ولا يحقق ما يطمحون إليه . فكانوا يقترحون عليه أحياناً أن يعمل على جذب القوي غير الصالحة بعدة أساليب ووسائل منها المال .

ولكن المبدأ الذي كان يؤمن به (ع) ويدعو إليه لم يكن يقبل التغيير ، والتحول متأثراً بهذه الآراء والأقتراحات وهذا التفكير لمصلحي .

وهكذا كان للإمام علي (ع) موقف وكلمة في كل من تلك المراحل والفترات التي عاشها كما كان له رسائل تصلح أن تكون نموذجاً للتطبيق في المراحل والمواقف المماثلة وعلى مرّ العصور ، إذ إن كل لحظة وكل أزمة وكل منعطف كان يتطلب نوعاً خاصاً من التعامل وإتخاذ المواقف وقد شاهدنا كل ذلك في مسيرة الإمام علي (ع) وسياسته وأقواله وأفعاله .

وبعون الله وتوفيقه شرعت في كتابة هذا البحث (حول المنهج السياسي عند الإمام علي (عليه السلام) كي نستفيد في هذه الظروف العصيبة التي تمر بها أمتنا الإسلامية من آراء الإمام السياسية في كافة مجالات حياتنا

وقد قسّمت هذا البحث إلى عدة فصول تحدثت عن المفهوم الحقيقي للسياسة ومعناها لغة وما هو الفرق بين الوعي السياسي والثقافة السياسية ثم ذكرت بضرورة الوعي السياسي في الأمة لما

له من دور كبير في إيجاد الثورات ضد الأنظمة الظالمة .

ثم تحدثت عن دور السياسة في إصلاح المجتمعات وإفسادها وتوصلت إلى نتيجة وهي ضرورة وجود نظام صالح مسدد من قبل الخالق عز وجل لأن الأنظمة الوضعية لا تستطيع أن تحقق السعادة للإنسان .

كما تحدثت عن صفات الزعماء السياسين من خلال كلام الإمام علي (ع) .

ثم تحدّثت عن عدالة النظام والحكم في الإسلام وأهميتها ومفهومها ومسؤولية القادة إتجاهها وختمت هذا البحث بمقاطع من كتاب الإمام علي (ع) لمالك الأشتر الذي يعتبر كما يقول العلامة الشريف الرضي (قدس سره) أطول عهد كتبه الأمير (ع) إلى أحد عماله على بلد من بلدان الخلافة الإسلامية آنذاك .

كما يوجد في هذا البحث الكثير من جوانب الفكر السياسي للإمام علي (ع) هذا الفكر الذي يعكس بعض ملامح التجربة الرائدة والمريرة للإمام (ع) في الحكم الإسلامي .

وختاماً ؛ ليس عيباً إن يؤخذ على البحث مأخذ أو انتقاد لأن الكمال لله وحده وإنما العيب على من أبصر خطأ ولم يرشد إلى صوابه وعلى من أرشد إلى الصواب ولم يتدارك خطأه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

عبد الهادي عاصي

بيروت في ١٠/٩/١٩٩٦م

الفصل الأول

المفهوم الحقيقي للسياسة

١- معنى كلمة السياسة :

السياسة لغة : من السوّس بمعنى الرياسة ، وساس الأمر سياسة أي قام به ، وساس الأمور أي دبّرها وقام بـإصلاحها .

والسامة : قادة الأمم ومدبروا شؤونها العامة (المعجم الوجيز) .

فالسياسة هي القيام بالأمر بما يصلحه ، فهي تتناول كل ما يتعلق بحكم الدولة وإدارة العلاقات الخارجية ، وتعنى أيضاً الشؤون العامة والأحداث .

والقانون السياسي : هو مجموعة القوانين التي تحدد النظم الحكومية وتعنى العلاقات بين السلطة والمواطنين .

لذا يمكن تعريف علم السياسة بأنه علم حكم الدولة ، أو دراسة المبادىء التي تقوم عليها الحكومات والتي تحدد علاقاتها بالمواطنين وبالدولة الاخرى .

وهناك تعريف حديث للسياسة وهو (**السيامة هي فن حكم المجتمعات الانسانية**) .

أما على الصعيد الديني فالسياسة هي : التحرك من أجل رعاية الناس وتأمين مصالحهم وتخليصهم من واقع سيء إلى واقع أفضل

قال رسول الله (ص) إلا كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته

فالرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم والمرأة راعية على بيت بعلها وهي مسؤولة عنهم (ميزان الحكمة - ج / ٤/ص / ٣٢٧)

ويقول الإمام علي (ع) إتقوا الله في عباده وبلاده فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم (ميزان الحكمة ج / ٤- ص / ٣٢٦)

٢ - نظرة المجتمع السلبية إلى السياسة :

طبقاً لما يفهمه الناس عن السياسة . هناك إتجاه شائع في فهمها ومعناه الخداع والتضليل والاحتيال والمكر ويقولون أن السياسة لم تدخل شيئاً إلا أفسدته .

ولكن نقول هذه النظرة خاطئة بلا شك إذا لا يمكن أن نحكم بفساد السياسة والسياسين بشكل مطلق بسبب أن بعض الحكام وفي أزمنة معينة وظروف معينة قد أساؤوا الممارسة السياسية وننسى أن الأنبياء (ع) كما سنرى من إبراهيم إلى داود وموسى وعيسى ومحمد (ص) كانوا في طليعة القادة السياسين الذين غيروا المجتمعات وبنوا أسس إنسانية وألهية لحكم الدول وصناعة الحضارات ولكن في نظر أصحاب المصالح والمنافع يعتبر الإسلوب السياسي الذي أتبعه معاوية بن أبي سفيان والذي يُسمى اليوم (بالميكافيليه) * : يقولون هذا الإسلوب لا مفر منه في عالم السياسة ثم يعتبرون كل من لا يعمل به فاقداً للسياسة والدهاء والوعي .

---

* وهي مذهب سياسي يعود للمفكر الإيطالي (نيكولا ميكيافلي) أوضحه في كتابه الأمير ويقضي بإعتبار الأمور اللاأخلاقية كالغش والخداع والمراوغة والدهاء وسوء النية ليست عيباً في تحقيق الأهداف دون إعتبار نداء الضمير ومبادىء الدين والأخلاق على أساس (الغاية تبرر الوسيلة)

ولكن نحن نرى أن هذا الأسلوب مرفوضٌ في دائرة الإنسانية والمعنويات التي تتحدد فيها القيم على أساس الفضائل لأن المكر والخديعة الذين تعتمد عليهما مثل هذه السياسات الساقطة والمنحرفة يجران الإنسان إلى الكفر كما يقول الإمام علي (ع) :

« والله ما معاوية بادهى مني ولكنه يغدر ويفجر ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس ولكن كل غُدَرَة فجرة وكُل فَجَرةٍ كُفَرة ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة والله ما استغفل بالمكيدة ولا أستفزّ بالشديدة » . (نهج البلاغة - ص/٣١٨ - رقم النص/ ٢٠٠) .

٣ - الفرق بين الوعي السياسي والثقافة السياسية:

الوعي السياسي هو : الفهم السياسي للواقع والأحداث والتطورات والقدرة على تحديد موقف واضح وذلك إستناداً إلى قاعدة فكرية معينة تفرز وجهة نظر سياسية .

إذاً لا يمكن قياس الوعي السياسي بكثرة المعلومات السياسية وبالمقدرة على الربط بينهما ولا يمكن قياس الوعي السياسي بالمعرفة السطحية لما يحدث من مستجدات ولا بحفظ الأخبار السياسية ونقلها إلى الآخرين من دون تحليل ونقد .

ولكن تحديد الموقف هو الأساس فمواقفنا السياسية يجب أن ترتكز على ما يحقق المصلحة الإسلامية ويخدم الأهداف الرسالية لنتمكن من نشر رسالتنا وتحقيق الوضع الإجتماعي والسياسي والإقتصادي والمادي الأفضل للبشرية .

فالمسلم الواعي هو الذي يهتم بأمور المسلمين فيعمد إلى دراسة الأهداف والأساليب التي تمارسها السياسة العالمية ومدى تأثيرها على الأنظمة والتيارات السياسية في مناطق المسلمين .

والتعمق في كل ذلك يحتاج إلى متابعة يومية وقراءة متمعنة وبدقة للمذكرات السياسية والصحف والتحاليل والإستماع إلى الأخبار لكي يتمكن من القيام بعملية الربط بين الأحداث السياسية ومعرفة خلفياتها وقنواتها التي تربطهما بما يجري في

العالم .

فالثقافة السياسية تحصل من خلال قراءة التحليلات السياسية بدقة والنظر إلى مجريات الأوضاع بعقلية واعية ومتفتحة ومتزنة .

٤ - ضرورة الوعي السياسي :

لقد قام أعداء الإسلام بوضع خطط مبنية على سياسة التجهيل وأبعاد الأمة عن الوعي السياسي لأنهم يعرفون أن إنتشار الوعي الحقيقي يعني نهاية السيطرة السياسية الإستكبارية والإستعمارية في البلاد الإسلامية .

لذا ينبغي أن نفهم مجتمعنا جيداً والمجتمعات الأخرى كذلك والفئات المتصارعة والمتحالفة وقوى التأثير والعقبات الموجودة وطبيعة الصراع .

كما ينبغي أن نتوقع النتائج وهذا كله يحتاج إلى الثقافة والوعي السياسي .

فإذا كان هدفنا إقامة الدين وتطبيق الأحكام الإلهية فهذا يتطلب فهم الأوضاع السياسية والإعداد الكافي والتخطيط المتقن .

يقول الإمام الباقر (ع) : « **ينبغي للمسلم ان يكون مالكاً لنفسه عارفاً باهل زمانه ومقبلاً على شانه فاتقوا الله ولا تذيعوا سراً** » .

فالمعرفة بأهل الزمان تعني أن يتوفر في الإنسان عنصر الوعي السياسي كي يتمكن من الإهتمام بأمور الناس ؛ لأنه كيف يمكن أن يمارس الإنسان السياسة الحقة بدون وعي وثقافة سياسية ولاشك أن الثقافة السياسية غير الهادفة للقيام بعمل سياسي

هادف ستكون مضيعة للوقت وظلم للناس وفي نفس الوقت فإن العمل السياسي بدون ثقافة سياسية يعتبر تخبطاً وارتجالاً وسيكون ضرره أكثر من نفعه .

٥ - أهم الأسس للوعي السياسي :

اولاً : ينبغي الإطلاع والإلمام بمدلولات المصطلحات والتعابير السياسية المستعملة يومياً في الصحف والمجلات والتحاليل الإخبارية وأهمها :

١- طريق ذات الشوكة : تعبير عن صعوبة العمل التغييري في المجتمع .

٢- التغيير : إزالة الوضع القائم من جذوره .

٣- الجاهلية : كل حكم غير إسلامي .

٤- الدولة على ثلاثة انواع :

إقليمية : هي التي تقوم وحدتها على أساس الجغرافية .

قومية : هي التي تقوم وحدتها على أساس القوم أو اللغة أو التاريخ .

فكرية : هي التي تقوم وحدتها على أساس الفكر .

٥- الليبرالية : مصطلح سياسي برز في أوروبا في القرن السابع عشر ويعني الصراع بين الطبقة البرجوازية ضد القوى التقليدية ويهدف إلى إقامة حكومة برلمانية وتأكيد حرية العبادة والصحافة منح حق التمثيل السياسي للمواطنين وإلغاء كل الإمتيازات .

٦- البروليتارية : وهي الطبقة العاملة الزراعية أو الصناعية والتي لا تملك رأسمال أو عقار وتضطر هذه الطبقة إلى العيش من

أجر العمل .

وهذه الكلمة يونانية تعني (الذرية والنسل) .

٧- الرإسمالية : مذهب مادي إقتصادي يسمح لكل فرد بالسعي وراء رغباته الخاصة والحصول عليها بدون أي قيد (حرية فردية) .

٨- الشيوعية : مذهب سياسي أنشأه (ماركس وانجلز) هدفه القضاء على الرأسمالية والملكية الخاصة ويؤمن بأن التغيير لا يتم إلا بالقوة وكانت بدايته سنة (١٩٠٣) في روسيا .

٩- الإنتهازية : مذهب سياسي يهدف إلى إنتهاز جميع الفرص والمناسبات السانحة لتحقيق الأهداف .

١٠- الديموغرافية : علم دراسة السكان (الولادات) الوفيات (الهجرة) .

١١- الراديكالية : مصطلح سياسي يشير إلى برامج الأحزاب السياسية الإصطلاحية واليوم تعني كل دولة أو حركة أو حزب ينادي بتغيير جذري في الدولة والحكم .

١٢- الدبيلوماسية : كلمة يونانية وتعني (مهمة حفظ الوثائق والإتفاقات الخارجية) ، الوثيقة تسمى دبلوما ويسمى حاملها ديبلوماسي ، وتعني ممارسة التمثيل الخارجي ، والديبلوماسية سلوكاً هي أسلوب من الحذر والحيطة واللباقة في المعاملات الدولية وبالتالي التخلص من المزالق والمآزق والبراعة في الوصول

إلى الهدف .

١٣- كلمة (الڤيتو) لاتينية الأصل تعني (أنا أمنع) وأصبحت اليوم تعني حق إمتلاك النقض أي حرية الرفض بدأت في أواخر الحرب العالمية الثانية .

١٤- الميكيافيللية : مذهب سياسي يعود إلى المفكر الإيطالي (نيكولا ميكيافيللي) ويقضي باعتبار الأمور اللأخلاقية كالغش والخداع والدهاء وسوء النية أموراً ليست عيباً في سبيل تحقيق الأهداف من دون إعتبار لنداء الضمير أو الدين على أساس (الغاية تبرر الوسيلة) .

١٥- العلمانية : تسعى لوضع القوانين البشرية المتغيرة باستمرار والمتعارضة مع بعضها البعض موضع التنفيذ لذا فهي تهدف إلى عزل الدين عن النظام .

١٦- الفيدرالية : نظام سياسي يعني قيام إتحاد بين دولتين أو أكثر بقيادة مركزية فتصبح شخصية الدولتين الخارجية واحدة مع إحتفاظ كل دولة ببعض من الإستقلالية الداخلية .

١٧- الكونفيدرالية : نظام سياسي يعني قيام إتحاد بين دولتين أو أكثر بحيث تحتفظ كل من الدولتين بإستقلالها التام .

١٨- الديكتاتورية : مذهب سياسي يقوم على الفرد الذي يمارس السلطة المطلقة من دون أي مسؤولية أو رقابة من أحد .

١٩- الإمبريالية : مذهب سياسي مبني على إستعمال القوة

لإنشاء إمبراطورية بقصد التوسع والسيطرة وإستعمار الشعوب وذلك بالقوة السياسية والعسكرية .

٢٠- الأوتوقراطية : كلمة يونانية تعني الحكم الفردي (المستبد) ليست موجودة نظرياً أما عملياً فموجودة من خلال سياسة الإرهاب التي تمارسها أكثر الأنظمة في العالم .

٢١- الديموقراطية : كلمة يونانية / ديمو : الشعب قراطيس : الحكم أي حكم الشعب ومعناها أن يكون للشعب دوراً كبيراً في الحكم عن طريق ممثلين .

٢٢- البيروقراطية : أي حكم المكاتب وهي حالة كبار الشخصيات التي تدير الدولة شكلياً وهدفها إذلال الناس وتضييع الوقت .

٢٣- البلوتوقراطية : وتعني سلطة الأغنياء حيث يكون الإنتخاب من قبل أشخاص يدفعون نسبة عالية من الضرائب (الإنتخاب الضريبي) وتحصل اليوم في معظم المؤسسات الصناعية الغربية بشكل خاص .

٢٤- الثيوقراطية : تعني قيام دولة دينية شعارها أن السلطة مستمدة من الله تعالى الذي يختار الملوك ويوجه الحوادث ويسمى (الحق الإلهي) .

٢٥- الارستقراطية : وهي طبقة إجتماعية تعبر عن حالة سياسية وقوامها أصحاب الإمتيازات الخاصة كالمال والجاه

والمراكز الإجتماعية التي نتوارثها أباً عن جد .

٢٦- البرجوازية : تعني طبقة إجتماعية مرفّهة تضم كبار أصحاب المصانع والتجار والموظفين ظهرت في فرنسا عام ١٧٩٨م ، بعد الثورة الفرنسة وهي قريبة من « الإرستقراطية » .

٢٧- الإرهاب : نوع من الشتيمة السياسية وهي إستعمال غربي حالياً يُطلق على الحكومات أو الحركات السياسية المناهضة للغرب .

٢٨- الإستعمار : هو قيام دولة بفرض سيطرتها على دولة أخرى خارج حدودها وبغير رضا أهلها .

٢٩- الفاشية : تعني الحزم والقوة كلمة إيطالية نشأت بعد الحرب العالمية الأولى وشعارها الزعيم لا يخطىء .

٣٠- القومية : جملة من المفاهيم أو العوامل المعنوية التي تربط جماعة إنسانية ومن هذه العوامل ؛ وحدة الأرض واللغة والتاريخ والدين والمصالح .

٣١ - أصل اليمين واليسار :

يعود أصل التسمية الى ما بعد الثورة الفرنسية الكبرى عام ١٧٨٩، فبمحض الصدفة كان الثوريون المتطرفون يجلسون الى يسار البرلمان ، فشاع هذا الاصطلاح وما زال شائعاً حتى اليوم .

والمقصود باليمين فئة المتشددين الرافضين للتغيير ؛ واليساريون هم فئة طامحة الى الثورة على التقاليد الاجتماعية البالية .

٣٢ - الفرق بين الثورة والانقلاب :

الانقلاب هو تغيير مفاجئ في نظام الحكم ، وغالباً ما يقوم به جنرالات الجيش ، وهو يعتمد على تغيير الأشخاص الحاكمين بأشخاص يطمحون الى التحكم بمراكز النفوذ .

أما الثورة فإنها وليدة إرادة شعبية عبر شخصيات ثورية تغير المبادئ القديمة وتبدلها بقيم أخرى أفضل .

٣٣ - الحرب الباردة :

يستعمل هذه اللفظ للإشارة الى الصراع الدولي الذي ساد بعد الحرب العالمية الثانية بين المعسكر الرأسمالي والمعسكر الشيوعي ، وكان هذا الصراع بعيداً عن الحرب العسكرية المباشرة إلا في بعض الأحيان كما في كوريا وفيتنام ، كما تناولت هذه الحرب مجالات الحياة كافة : السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

٣٤ - اللجوء السياسي :

وهو انتقال انسان ملاحق في دولته الى دولة أخرى بسبب آرائه السياسية أو الدينية أو القومية ، وعلى الدولة التي لجأ اليها هذا الشخص أن تستقبله والا ترغمه على العودة الى دولته ، وعليها أيضاً أن تؤمن له الحماية حفاظاً على حياته .

٣٥ - الأحكام العرفية :

هي عبارة عن مجموعة قوانين استثنائية تلجأ اليها الدولة في حالات الطوارئ كاندلاع ثورة ، أو تعرض البلاد الى غزو خارجي ، كما أن ثمة حكومات تلجأ الى الاحكام العرفية لتقمع الحريات فتحاكم المتظاهرين مثلاً ، كما تقضي الأحكام العرفية بتجميد الدستور كما انها تشل سلطة البرلمان وتؤدي الى فرض رقابة مشددة على وسائل الاعلام .

ومن أهم الأسس للوعي السياسي :

٢- ضرورة تتبع الأخبار المحلية والإقليمية والدولية .

٣- النظرة إلى الأحداث التي تقع بشمولية وربطها بمؤثراتها المختلفة . لأن الحدث السياسي قد يكون مرتبطاً بأوضاع سياسية غير محلية إقليمية ودولية . وقد لا يكون مرتبطاً أصلاً .

٤- معرفة العوامل المختلفة والمؤثرة في الحدث السياسي الإقتصادية منها والإجتماعية والعسكرية والسياسية والإقليمية .

٥- تحديد القوة الرئيسية وإمكانياتها ومدى تأثيرها على الحدث السياسي .

٦- علينا أن نعرف ماذا يريد منا الأعداء وإستيعاب وفهم مخططاتهم (من عرف لغة قوام أمن مكرهم) .

٧- محاولة التخمين بالتوقعات والنتائج والتعود على طرح الإحتمالات للحدث السياسي وتطوراته .

٨- في عالم الأحداث السياسية ليس من الضروري أن يكون الظاهر هو الحقيقة ؛ لأن الأختلاف بين الدول ليست حقيقة في كل الحالات لأن بعضها قد يكون مفتعلاً لمصالح ؛ وأيضاً الزيارات التي يقوم بها بعض الرؤساء لبعض الدول لا تعني الإتفاق والنجاح دائماً .

٩- أخيراً الدقة في غربلة ومطالعة المعلومات والتحليلات والمعطيات السياسية لئلا نقع فريسة بين أيدي مصادر الإعلام الموجه والمغرض من قبل الأعداء .

٦ - الوعي السّياسي ..

ودوره في إيجاد الثورات الإسلامية :

بعدما تسلّم الإمام علي (ع) الخلافة سعى الأمويون ومن يسايرهم لمنع إستقرار حكومة الإمام لأنها لا تتماشى مع أهوائهم .

وبعد ذلك تسلم معاوية السلطة ومارس الضغوط والإرهاب ضد كل من ليس من شيعته ثم جاء من بعد الأمويين العباسيون ونسجوا نفس المنوال ثم تبدلت الخلافة وتحولت إلى ملكية موروثة وأصبح الحكم يشبه حكم أكاسرة فارس وأباطرة الروم وفراعنة مصر وهكذا كانت تحدث بين الحين والآخر ثورات يقوم بها رجال مؤمنون واعون خائفون على دينهم ومجتمعهم وكان أبرز هذه الثورات :

ثورة سيد الشهداء الإمام الحسين (ع) ثم ثورة التوابين وثورة المدنية وثورة المختار الثقفي وثورة زيد بن علي بن الحسين (ع) وثورة عبد الله ذو النفس الزكية (الإنتفاضات الشيعية / لمؤلفه هاشم الحسيني) .

إلى أن حدثت الثورة الإسلامية المباركة في إيران فكانت ثورة كبرى سياسية ثورية فرضت نفسها على العالم كله وإستطاعت أن توجه الضربة القوية للأساليب والمخططات الإستعمارية وساعدت بشكل كبير جداً على إيجاد الوعي السياسي لدى

المسلمين وجميع المضطهدين في العالم .

ومن ظواهر الوعي السياسي الذي افرزته الثورة :

١- بناء القاعدة الشعبية والتي تعتبر الأداة الأساسية للعمل الثوري .

٢- إيجاد وعي إسلامي وعمل ثوري في مختلف دول العالم الإسلامي وغيره .

٣- فضح كثير من الأضاليل السياسية والتي كانت متعارفة عند أغلبية الناس .

٤- العمل على تجاوز كل الحساسيات والقوميات والإقليميات وتركيز مقولة أن الإسلام هو الأساس والمنطلق وهو الهدف في كل شيء .

٥- العمل على تهيئة وتنشئة جيل مؤمن فاضل يحطم عروش الطغاة ويقضي على سلطانهم .

وهذا الواجب مكلف به المسلمون جميعاً أينما وجدوا من أجل خلق ثورة سياسية إسلامية ظافرة ومنتصرة (الحكومة الإسلامية - للإمام الخميني (قده) ص / ٣٤) .

٧ - وهكذا كانت ..

سياسة الإمام علي (عليه السلام) :

قال سلام الله عليه : « الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له والقوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه » . (نهج البلاغة / رقم النص / ٣٧) .

وقال أيضاً : « اما والذي فلق الحبة وبرا النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما اخذ الله على العلماء الا يقاروا على كظلة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكاس أولها ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز » . (نهج البلاغة – رقم النص /٣١ من خطبة الشقشقية) .

وقال عليه السلام : « اللهم إنك تعلم انه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان ولا إلتماس شيء من فضول الحطام ولكن لنرد المعالم من دينك ونظهر الإصلاح في بلادك فيامن المظلومون من عبادك وتقام المعطلة من حدودك » . (من كلام له عليه السلام رقم ١٣١ ص ١٨٩ شرح الدكتور صبحي الصالح) .

الفصل الثاني

دور السياسة في إصلاح المجتمعات

١- العلاقة بين الدين والسياسة :

كثير من الناس يظنون أنه لا دخل للدين بالسياسة لأن الدين في نظرهم مقدس ومحترم أما السياسة فهي كذب وإحتيال ...

ثم يقولون ؛ ! ، لا تدخلوا الدين في السياسة ! ، ولا تنزلوه من مقامه المقدس إلى مقام الدنس ... وهم بذلك يقصدون فصل الدين عن الحياة وعن السياسة وعن التربية والإقتصاد وعن كل شيء في الحياة لا علاقة له مباشرة بالدين . ثم يحصرون دور الدين في القضايا الفردية على إعتبار أن الدين علاقة فردية بين الإنسان وربه .

فيقولون : ما لقيصر لقيصر وما لله لله . فأنت مؤمن بدينك داخل الكنيسة والمسجد أما خارجهما فلا علاقة للدين بحياتك ولا بنظامك لأنَّ الدين حسب زعمهم رسالة قديمة !!! .

ويقولون أن النظام والحكم قديماً كان يصلح على أساس الدين وذلك عندما كان الإنسان يعيش عصور التخلف والبربرية والجاهلية ... أما اليوم حيث عصر التقدم والحضارة والثقافة والعلم . فإن الدين غير صالح للتطبيق وبالخصوص في مجال الحكم .

هذه المقولة نتجت في الواقع عن سوء العلاقة بين رجال الدين النصارى في أوروبا وبين رجال العلم والفكر فحاول الإستعمار

إستغلالها كي يعمم الأمر على كل الأديان السماوية ومن جملتها الإسلام لكننا نعلم علم اليقين إن هذا الدين الإلهي لم ينزل إلى الأرض كي يوضع على الرفوف وفي زوايا المكتبات والمساجد وإنما جاء ليكون ثورة تغيير شاملة وكاملة جاء ليحكم وليطبق وليجسد الأمن والسعادة والعدالة بين الناس .

قال تعالى : ﴿ لقد ارسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس ﴾ (الحديد / ٢٥) .

وقال أيضاً : ﴿ ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون / الظالمون / الفاسقون ﴾ (المائدة /٤٤-٤٥- ٤٧) .

وهكذا أطلقوا عبارة أن الدين مخدر للشعوب وهذه المقولة أراد الإستعمار من ورائها تأكيد أن الدين يعيد الإنسان إلى مرحلة التخلف والتأخر وأنَّ الدين يدعو إلى الإستسلام أمام الظلم وعدم التحرك لرفضه ؛ مع العلم أن هذا الأمر كان ينطبق على ما حصل في أوروبا من نزاع بين أهل العلم ورجال الدين الذين كانوا يمارسون صكوك الغفران ويبيعون الجنة بالأموال ، ولكن لا ينطبق هذا الأمر إطلاقاً على خاتم الأديان السماوية لأن الإسلام كان ثورة على الظلم .

قال تعالى : ﴿ ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار ﴾ (هود / ١١٣)

كما إن الإسلام دعا إلى الصبر وليس إلى الهزيمة والإستسلام .

قال تعالى : ﴿ يا ايها الذين آمنوا إصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ (آل عمران /٢٠٠) .

فالإسلام لم يدار أي ظلم بل كان الرسول (ص) والأئمة الطاهرون يحرّضون المسلمين على ضرورة رفض الظلم وقتال الظالمين حتى ولو كانوا مسلمين ، أو يَدّعون الإسلام ولكن للأسف كثير من المسلمين لم يجسدوا تعاليم الله ولم يمتثلوا لأوامره ولم يبتعدوا عن نواهيه في حياتهم اليومية فأصبحوا متخلّفين والذنب ذنبهم وليس ذنب الإسلام .

يقول الشاعر معروف الرصافي :

يقولون في الإسلام ظلماً بأنه ... يَصُدُّ ذويه عن طريق التقدم
فإن كان ذا حقاً فكيف تقدمت ... أوائله في عهدها المتقدم
وإن كان ذنب المسلم اليوم جهله ... فماذا على الإسلام من جهل مسلم
هل العلم في الإسلام إلا فريضة ... وهل أمة سادت بغير التعلم
لقد أيقظ الإسلام الجد والعلى ... بصائر أقوامٍ عن الجد نُوّم
ودك حصون الجاهلية بالهدى ... وقَوّض أطنابَ الضلال المخيم

٢ - ضرورة وجود نظام في المجتمع :

ورد في حديث شريف عن النبي (ص) : إذا كنتم ثلاثة في سفر فاجعلوا أحدكم أميراً عليكم . من هنا نستطيع أن نفهم مدى الأضرار البالغة التي كان ينظر إليها رسول الله (ص) من جراء عدم وجود قوة حاكمة على المجتمع تحل النزاعات والمشاكل ...

ولو لم تكن هناك ثمة نصوص تقضي بوجوب وجود قوة حاكمة لكفى العقل في الإلزام به . لأن الحكم من ضرورات الإجتماع فالنشاط الإنساني قد أصبح متشابكاً بفعل الحياة الإجتماعية فلابدَّ له من قوة توجهه الوجهة السليمة والصحيحة وبدون هذه القوة يتسيّب هذا النشاط فيطغى البعض من أفراده على البعض الآخر ويتجه إتجاهات غير محمودة تؤول به في النهاية إلى الضمور ومن ثم تنتهي بالمجتمع إلى الإنحلال .

وقد صرَّح أمير المؤمنين علي (ع) في نهج البلاغة بضرورة وجود حكومة قوية تحفظ حقوق الناس وترعى مصالحهم .

كما وقف عليه السلام في وجه فكرة الخوارج الذين كانوا يَدّعون بعدم الحاجة إلى الحكومة مع وجود القرآن الكريم بين المسلمين وكان شعارهم (لا حكم إلا لله) وصحيح أن مفاد هذا الشعار هو أنه لا حق للإنسان بالحكم لأن تشريع الحكم لله وحده ولكن ردَّ عليهم الإمام سلام الله عليه قائلاً : وانا اقول

كذلك (لا حكم إلا لله) أي وضع القانون والحكم ليس إلا لله ولكن يقولون بان الحكومة والزعامة لله ايضاً وهذا باطل لأن حكم الله لابدَّ ان يجري على يد الناس ولابُدَّ للناس من حاكم صالح او طالح لذلك ردَّ عليهم قائلاً : « كلمة حق يراد بها باطل نعم انه لا حكم إلا لله ولكن هؤلاء يقولون لا امرة إلا لله وانه لابدَّ للناس من امير بِرّ او فاجر يعمل في امرته المؤمن ويستمتع بها الكافر ويبلغ فيه الأجل ويجمع به الفيء ويقاتل به العدو وتامن به السبل ويؤخذ به للضعيف من القوي حتى يستريح بر ويستراح من فاجر . (نهج البلاغة الخطبة – رقم /٤٠ – ص /٨٢ – شرح الدكتور صبحي الصالح) .

إذاً ، لابُدَّ للناس من حاكم بر أو فاجر لأن إنعدام السلطة يعني الفوضى الماحقة ولما كان الإسلام نظاماً صالحاً فإن عنايته بالعدالة والنظام فاقت عنايته بالعبادة والدعاء . لماذا ؟ . لأن غاية العبادة إزالة الفحشاء والمنكر من المجتمع كي يعيش الناس بأمن وسلام .

لذا ليست السياسة دخيلة في فكر الإسلام بل هي جوهرة وغاية تعاليمه .

ففي رأي الإسلام الحكم ضروري حتى لو كان جائراً لأن لا يخلو من منافع إلى جانب مفاسده بينما الفوضى شرٌ كلها فيكون الجور خيراً منها .

قال الإمام علي (ع) في حديث له حول عناية الإسلام بالسلطة : « السلطان وزعة الله في ارضه » .

وقال في موضع آخر : « إذا ادت الرعية الى الوالي حَقّه وادى الوالي اليها حَقّها عَزَّ الحق بينهم وقامت مناهج الدين واعتدلت معالم العدل وجدت على إذلالها السنن فصلح بذلك الزمان وطمع في بقاء الدولة ويئست مطامع الأعداء » . (ميزان الحكمة - ج/٣ - ص/ ٣٦٠) .

٣ - خطر الحكام غير الكفوئين على المجتمع :

في الواقع الحاكم يجب أن يكون حارساً مؤتمناً على حقوق الناس ومسؤول أمامهم بمعنى أن الحاكم للناس وليس الناس للحاكم وكما يقول أحد الشعراء :

ليس الأغنام ملكاً للرعاة إنما هم يخدمون الغنما

يقول الرسول (ص) : « كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته » .

هنا لكلمة الرعية مفهوماً إنسانياً جميلاً في الإسلام ؛ وتعريفها لغة : من مادة رَعِيَ أي حفظ وحرس ؛ والرعية : عامة الناس الذين عليهم راعٍ يدبّر أمرهم . (المعجم الوجيز - ص /٢٦٩) .

والنبي (ص) أطلق هذه الكلمة - الرعية - على الناس من جهة أن الحاكم في الإسلام يجب أن يتعهد بحفظ الناس وحراستهم ورعايتهم في أنفسهم وأموالهم وحقوقهم وحرياتهم ومصالحهم ؛ قال تعالى : ﴿ إنَّ الله يامركم ان تؤدوا الأمانات إلى اهلها وإذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ﴾ (النساء / ٥٨) .

والمراد بالآية ولاة الأمر على بعض التفاسير أمرهم الله تعالى أن يقوموا برعاية الرعية وحملهم الإلتزام بالدين والشريعة .

فالقرآن الكريم يرى الحاكم حارساً وأميناً على المجتمع وأن الحكومة العادلة هي أمانة على عاتق الحاكم يجب أن يؤديها إلى الأمة .

يقول الإمام علي (ع) لعامله على آذربيجان :

« وإن عملك ليس لك بطعمه ولكنه في عنقك امانة وانت مسترعى لمن فوقك ليس لك أن تفتات في رعيته » . (نهج البلاغة).

ويقول عليه السلام في مكان آخر يبين فيه صفات الحاكم :

« وقد علمتم انه لا ينبغي ان يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل فتكون في أموالهم نهمته ولا الجاهل فيضلهم بجهله ولا الجافي فيقطعهم بجفائه ولا الحائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ولا المعطل للسنّة فيهلك الأمة .

(ميزان الحكمة - ج /١ - ص /١٧٦) (ونهج البلاغة - رقم النص /١٣١)

إذاً فالمتصدي للحكم يجب أن يكون ذا ماضٍ مشرق متحرراً من النفاق والأهواء النفسية وعليه فلا ينبغي لنا أن ننخدع بالحكام وخاصة الذين لهم سوابق تاريخية منحرفة لأن هذا النوع من الحكام سوف يجلب الويلات للناس في النهاية كما سيؤدي بالإسلام والمسلمين إلى الفناء والدمار وقد رأينا نحن الكثير من هذه النماذج في الماضي ولايزال موجود منها في الحاضر فعلى الناس أن يكونوا على حذر من الرضوخ للذل والمسكنة والإستسلام لهؤلاء الحكام بل عليهم عصيانهم والتمرد عليهم ومواجهتهم وأخذ زمام الأمور منهم وهذا هو واجب كل الناس الذين يريدون الحياة بعز وشرف وكرامة لأنَّ الحكام المتجبرين لن

يلبوا أبداً هذه المطالب لشعبهم فعلى الناس أن ينتزعوها منهم إنتزاعاً .

يقول الإمام علي (ع) : « ولا تطيعوا الأدعياء الذين شربتم بصفوكم كدرهم وخلطتم بصحتكم مرضهم وادخلتم في حقكم باطلهم وهم أساس الفسوق وحلاس العقوق إتخذهم إبليس مطايا ضلال وجنداً بهم يصول على الناس وتراجمة ينطق على ألسنتهم إستراقاً لعقولهم ودخولاً في عيونكم ».

(نهج البلاغة - رقم الخطبة /١٩٢ - ص /٢٨٥)

٤- مسؤولية الحاكم تجاه شعبه :

ومسؤولية الشعب تجاه حاكمه :

من مسؤولية الشعب أن يعطي الحاكم ما له عليه من حقوق فيطيعه إذا أمر ويجيبه إذا دعا وينصحه إذا كان في حاجة إلى ذلك وعلى الحاكم إذا حصل على كل هذا أن يستغله في إصلاح شؤون شعبه ولا يمكن أن يصلح شيء من أمور الدولة إلا إذا وجد جو صالح للعمل وطبعاً يوجد هكذا جو بتحقق الرغبة المشتركة بين الحاكم والمحكومين في إصلاح ما يفتقر إلى الإصلاح وتقويم ما يحتاج إلى التقويم من شؤون البلاد والعباد والذي يعبر عن هذه الرغبة المشتركة هو تعاون الوالي مع الرعية على القيام بذلك كله ويتحقق التعاون بينهما بأن يقوم كل منهما بما عليه من واجبات بعد أن يأخذ كل منهما ما له من حقوق ولكن حين لا تبذل الرعية للوالي طاعتها ولا تُمّحّضه نصيحتها ولا تلبي له دعوته إذا دعاها فحين ذاك يهمل الوالي مصالح الرعية وهذا يؤذن بشيوع الظلم وسيطرة الظلمة وفساد وإنحراف الدولة .

لذلك على الحاكم أولاً أن يعتبر نفسه أباً للجميع وليس متحكماً أو مستعبداً فالحكم يجب أن يكون تحمّل مسؤولية وتكليف وليس فقط تشريف كما قد يعتقد البعض .

لذلك لابد أن يستهدي الحاكم بمبدأين :

الأول : العدل بين الناس .

وثانياً : الرحمة للجميع كما يعلمنا ذلك إمامنا علي (ع) حيث يقول في عهده إلى محمد بن أبي بكر حين ولاّه مصر ؛ قال :

« فاخفض لهم جناحك وألن لهم جانبك وابسط لهم وجهك وآس بينهم في اللحظة والنظرة حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم فإنَّ الله تعالى يسائلكم معشر عباده عن الصغيرة من أعمالكم والكبيرة والظاهرة والمستورة فإن يعذّب فانتم اظلم وإن يعف فهو أكرم » .

(نهج البلاغة - ج /٣ - ص / ٣٨٢)

الفصل الثالث

مصدر الحكم والهدف من إقامته

١- طبيعة الحكم

أو الحرية في إختيار النظام :

حقوق الرعية على الحاكم أحياناً تستمد من طبيعة الحكم الذي يمارسه الحاكم .

فهناك حكم يقوم من أجل عائلة من العائلات حينئذٍ يعمل الحاكم لأجل هذه العائلة ويقوم بتسخير جميع مرافق الدولة لها ولمن يقوم عليه سلطانها .

وهناك حكم يقوم لصالح بعض الطبقات وحينئذٍ يعمل الحاكم لأجل هذه الطبقة وهنا لا تحصل الرعية على شيء إلا إذا كان فيه ما يعود بالخير على تلك الطبقة التي يعمل لها الحاكم وهناك حكم يقوم من أجل الرعية وحدها عندما يعمل الحاكم للرعية وحدها .

وطبعاً هذا اللون من الحكم يوجد فيه حقوق للرعية على الحاكم تحدثنا عنها في النقطة السابقة .

ولكن الذي يجدر الإهتمام به من جديد هو حرية الرعية في إختيار قائدها وقيادتها وعدم ممارسة الضغوط وعدم الإكراه في هذه القضية .

الإسلام أعطى الإنسان مبدأ الحرية وهذا المبدأ حظى باهتمام

كبير في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة . والسيرة والسياسة الإسلامية الأصيلة .

فالإسلام لا ينظر إلى البشر كأدوات عديمة الإرادة يرتبها الآخرون كيفما شاؤوا لأن الحرية تعد من الإمتيازات الخاصة للإنسان بل من أوضح مزاياه على الإطلاق .

يقول الإمام علي عليه السلام : « لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً » . (نهج البلاغة · الرسالة /٢١ من وصية الإمام لولده الحسن (ع)) .

لذلك فإن سلب حرية الإنسان يُعدّ في الأساس من أكبر المظالم التي تقلل من شأن أسمى قيَمِهِ وتتنكر لكرامته التي ينبغي لها التحكم بمصيره وعلى هذا فقد شاهدنا هذه الحقيقة عملياً في سيرة الرسول (ص) والإمام علي (ع) والذي هو أكثر أفراد الأمة وعياً للإسلام وأقرب الناس إلى النبي (ص) وأعلمهم بمستقبل الأمة .

لقد قام عليه السلام بترسيخ هذه المبدأ في مواضع كثيرة من كلامه كما تحدث مع الناس بمنطق التفكير الحر لأن الإختيار الواعي والبعيد عن الضغوط والأجواء المفتعلة والتقليد الأعمى أساس كل عمل من هذه النوع لأن البيعة ليست أمراً يقرره الآخرون . فالإنسان مسؤول عن تقرير مصيره ويجب عليه أن يُشخص بعقله الذي وهبه الله إياه ويقرر ويختار ... ومن الأمثلة

على ذلك :

* حين أراد الناس بيعة الإمام (ع) بعد مقتل عثمان ... قال (ع) : « دعوني والتمسوا غيري فإنا مستقبلون امراً له وجوه وألوان لا تقوم له القلوب واعلموا اني إن اجبتكم ركبت بكم ما اعلم ولم اصغ الى قول القائل وعتب العاتب وإن تركتموني فانا كاحدكم ولَعلّي اسمعكم واطوعكم لمن ولّيتموه امركم وانا لكم وزير خير لكم مني أمير » . (نهج البلاغة - ص /١٣٦ شرح الدكتور صبحي الصالح) .

نعم لم يشهد التاريخ حاكماً يتحدث هكذا مع الذين هرعوا إليه لمبايعته والإنصياع لأوامره وليس هذا أمراً عجيباً عند الإمام (ع) لأن الخلافة والسلطة ليست الهدف عنده بل وسيلة وهو لا يرغب فيها أصلاً .

فنحن لا نرى لديه دافعاً إلا المسؤولية والحفاظ على حرمة الإسلام لأن منهاج عمله ينطوي على أمرٍ واحدٍ فقط وهو رضا الله ومصلحة عباده وللناس أن يبايعوا ما يريدون فالمهم أن تتم هذه البيعة عن وعي وعلى أساس التشخيص الصحيح وهذا مما أكده الإمام (ع) دائماً وكل ذلك مع غض النظر عن كفائته وحقه المؤكد بالخلافة .

هكذا كان الأسلوب السياسي للإمام علي (ع) في الحكم منذ اليوم الأول وحتى النهاية .

ومن المؤكد أن هذه الأسلوب مرفوض لدى السياسين المحترفين وطلاب الزعامة والتسلّط لأن الهدف عندهم مخالف وهو التحكم والجلوس على كرسي الخلافة .

ولكن البقاء والجلوس لأيام قلائل على كرسي الحكم عند الذين ينظرون إلى الكون من أبعاده الأزلية والأبدية ويعتبرون حكومة الحق أساساً لكل شيء والملك الخالد محوراً لكل الفضائل لا يدفعهم أبداً للعمل من أجله لأنه في نظرهم لا يستأهل ذلك .

٢- من هو الحاكم الصالح :

لمنصب الولاية والقيادة بعض الخصائص التي تجسّدت في أشخاص معينين من أهل البيت (ع) فأصبحوا ورثة وأوصياء لهذا المنصب كما صَرّح بذلك أمير المؤمنين (ع) بقوله : « لا يقاس بآل محمد (ص) من هذه الأمة احد ولا يُسوّى بهم من جَرت نعمتهم عليه ابداً هم اساس الدين وعماد اليقين اليهم يفيء الغالي وبهم يلحق التالي ولهم خصائص حق الولاية وفيهم الوصية والوراثة » .

فالحاكمية هي منصب إلهي لا يستحقه كل إنسان وتستوجب شروطاً منها :

* العلم باكبر حد يمكن .

* ومنها العصمة ، أي الحصانة الفطرية من الذنوب .

* ومنها النص من النبي (ص) وهذا ما نؤمن به بشأن الإمام علي (ع) وأبنائه الأئمة الطاهرين حتى خاتمهم القائم (عج) .

كما إن الإمام علي (ع) وضع شروطاً في نهج البلاغة ويجب أن تتوفر في الحاكم الصالح وهي :

١- أن يكون كريم النفس لئلا تدفعه الطماعية وشدة الحرص إلى العدوان على أموال المسلمين .

٢- أن يكون عالماً لأنه قائد المسلمين الاعلى لذا يجب أن

يهديهم ولو كان جاهلاً لأضلّهم .

٣- يجب أن يكون رحب الصدر ليّن العريكة .

٤- أن يكون عادلاً في إعطاء الأوامر فيسوي بين الناس في العطاء ولا يفضل قوماً على حساب آخرين إستجابة لشهوات نفسه وميول قلبه .

٥- أن يكون نزيهاً في القضاء فلا يرتشي لأن ذلك يؤذن بذهاب العدل في الأحكام .

٦- أن يكون عالماً بالسنّة فيجري الحدود ولو على أقرب الناس إليه ويعطي الحق من نفسه كما يطلبه من غيره وفي هذا قال عليه السلام :

« وقد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل فتكون في أموالهم نهمته ولا الجاهل فيضلّهم بجهله ولا الجافي فيقطعهم بجفائه ولا الحائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم . ولا المرتشي بالحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع ولا المعطّل للسنة فيهلك الأمة ».

(نهج البلاغة - رقم النص /١٣١ - شرح الدكتور صبحي الصالح - ص /١٨٨)

٣- التعاون بين الحكم والشعب :

يقول الإمام علي (ع) : « واعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق حقوق الوالي على الرعية وحق الرعية على الوالي فريضة فرضها الله سبحانه لكلٍ على كل فجعلها نظاماً لإلفتهم وعزاً لدينهم فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاة ولا تصلح الولاة إلا باستقامة الرعية فإذا أدَّت الرعية إلى الوالي حقه وأدى الوالي إليها حقها عز الحق بينهم وقامت مناهج الدين واعتدلت معالم العدل وجرت على إذلالها السنن فصلح بذلك الزمان وطمع في بقاء الدولة ويئست مطامع الأعداء وإذا غلبت الرعية واليها أو اجحف الوالي برعيته إختلفت هناك الكلمة وظهرت معالم الجور وكثر الأدغال في الدين وتركت محاج السنن فعمل بالهوى وعطلت الأحكام وكثرت علل النفوس ؛ إلى ان يقول ؛ فعليكم بالتناصح في ذلك وحسن التعاون عليه ثم يقول ولكن من واجب حقوق الله على عباده النصيحة بمبلغ جهدهم والتعاون على إقامة الحق بينهم » . (نهج البلاغة رقم النص / ٢١٦- ص /٣٣٢ شرح الدكتور صبحي الصالح) .

والمستفاد من هذه الأقوال أنه لا يمكن أن يصلح شيء من أمور الدولة إلا إذا وجد جو صالح للعمل .

وطبعاً بوجود هذا الجو وبتحقق الرغبة المشتركة بين الحاكم والمحكومين في إصلاح ما يفتقر إلى الإصلاح وتقويم ما يحتاج إلى التقويم من شؤون البلاد والعباد والذي يعبر عن هذه الرغبة المتبادلة

هو تعاون الوالي مع الرعية من القيام بذلك كله .

ويتحقق التعاون بينهما بأن يقوم كل منهما بما عليه من واجبات بعد أن يأخذ كل منهما ما له من حقوق .

لذلك فعلى الرعية أن تعطي الوالي ما عليها من حقوق فتطيعه إذا أمر وتجيبه إذا دعا وتنصحه إذا استنصحها وعلى الوالي إذا حصل على ذلك كله أن يستغله في إصلاح شؤون رعيته ولكن حين لا تبذل الرعية للوالي طاعتها ولا تمحضه نصيحتها ولا تلبّي دعوته إذا دعاها فإن الوالي سيكون مضطراً لأن يمضي وقته في رعاية مصالح نفسه ويهمل مصالح رعيته وينتج عن ذلك شيوع الظلم وسيطرة الظلمة وإنحراف وفساد الدولة .

٤- الإمام علي (ع) القدوة :

روى نوف البكالي : أن الإمام علياً (ع) ألقى في الكوفة خطبة بعد أن وقف على صخرة وعليه مدرعة من صوف وبعد أن حمد الله وأثنى عليه وبعد أن أوصى الناس بالتقوى والورع وتحدث عن فناء الدنيا وزوالها وتحدث عن زوالْ القوى التي تحكمها ، قال عليه السلام : « ايها الناس اني قد بثثت لكم المواعظ التي وعظ الأنبياء بها امهم واديت إليكم ما ادت الأوصياء إلى من بعدهم وادبتكم بسوطي فلم تستقيموا وحدوتكم بالزواجر فلم تستوثقوا لله انتم اتتوقعون اماماً غيري يطا بكم الطريق ويرشدكم السبيل » . (نهج البلاغة رقم النص / ١٨٢- ص / ٢٦٣- شرح الدكتور صبحي الصالح »

ويقول عليه السلام : « فوَالذي لا إله إلا هو اني لعلى جادة الحق وانهم لعلى منزلة الباطل » . (نهج البلاغة ص / ٣١١- رقم / ١٩٧) .

وقال عليه السلام حين نقض طلحة والزبير البيعة : « والله ما انكروا عليَّ منكراً ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً وانهم ليطلبون حقاً هم تركوه ودماً هم سفكوه » . (نهج البلاغة ص / ٦٣- رقم النص / ٢٢) .

وقال عليه السلام حين إتهمه سعد بن أبي وقاص بالحرص على الخلافة أجابه قائلاً : « بل انتم والله لأحرص وابعد وانا اخصّ واقرب وانما طلبت حقاً لي وانتم تحولون بيني وبينه وتضربون وجهي دونه وهكذا سلام الله عليه يتساءل في مكان آخر : « هل الجدير بالحكم إمام الهدى أم إمام الردى وعدو النبي أم ناصره » .

(نهج البلاغة آخر عهده إلى محمد بن أبي بكر رقم النص / ٢٧- ص /٣٨٣)

وهكذا لكي يوضح الأمور أكثر ويقرّبها إلى أذهان الناس وينبههم إلى مصير الإسلام والمسلمين تحدث سلام الله عليه عن نفسه بإعتباره شخصاً حريصاً يسير في طريق الصواب دون أن يصاب بأدنى ضعف لأنه قد ظلم في مجتمعه وغصب حقه المسلّم به . ومع ذلك فقد ضحى (ع) بكل وجوده من أجل رفع راية الإسلام عالياً وتقبّل ورضي كل أنواع الظلم في سبيل هذا الهدف ومن أجل الدفاع عن هذه الحقيقة .

٥- صفات الزعماء السياسيين عند الإمام (ع) :

١- الأنبياء هم القدوة :

قيادة وزعامة المجتمع أسمى مسؤولية يتحمّلها الإنسان لذلك ينبغي للمتحملين لهذه المسؤولية أن يكونوا من أفضل الناس وأوفرهم حظاً في العلم والتقوى والفضيلة والأخلاق والبصيرة والسياسة وحسن الإدارة وغير ذلك من الخصال والسجايا بحيث يكونوا قدوة لغيرهم ومن الطبيعي أن أول من يتحمل ثقل هذه المسؤولية هم الأنبياء (ع) ثم الأئمة ومن بعدهم الرجال الصالحون ومن الطبيعي أن هذه الأسس السياسية تختلف عن السياسات السائدة في عالمنا اليوم والذي يرقى فيه أرذل الناس وأقلهم الحكم .

وإمامنا علي (ع) بيّن في جانب من خطبته المسمّاة بالقاصعة أحوال الأنبياء الذين كانوا في طليعة القادة القانونيين والشرعيين للبشر كما يشير سلام الله عليه إلى مبعث موسى وهارون اللذين دخلا على فرعون وهما يرتديان لباساً من صوف ودعواه إلى الخضوع لأمرِ الله وإلى ما أجابهما به فرعون محتقراً إياهما ومستنداً إلى ما يملكه من ماديات ذهب وغيره جعلها مقياساً لتقييم الشخصية وهذا ما يحدث في عصرنا الحاضر من إحترام للأغنياء وتحقير للفقراء فقال عليه السلام : « ولو اراد الله تعالى

حين بعثهم أن يفتح لهم كنوز الأرض ومعادن العقيان (نوع من الذهب ينمو في معدنه) ومغارس الجنان وان يحشر معهم طيور السماء ووحوش الأرض لفعل ولو فعل لسقط البلاء وبطل الجزاء واضمحلّت الأشياء ولما وجب للقابلين اجور المبتلين ولا استحق المؤمنون ثواب المحسنين ولا لزمت الأسماء معانيها ولكن الله تعالى جعل رسله أولي قوة في عزائمهم وضعفة في ما ترى الأعين من حالاتهم مع قناعة تملأ القلوب والعيون غنى وخصاصة تملأ الأبصار والأسماع أذى » . (الخطبة رقم / ١٩٢- ص /٢٩٢ من نهج البلاغة) .

نعم لقد كان أنبياء الله حكاماً وقادةً ولكن بلا عروش فنشأوا في أسر مستضعفة فواسوا المستضعفين وخضعوا لربهم وتحدوا المستكبرين على مر التاريخ وحطّموا قصورهم وجبروتهم .

أ – النبي موسى (ع) : يشير الإمام علي (ع) في إحدى خطبه إلى سيرة الأنبياء الذين كانوا الحكام الحقيقيين للأمة .

فيصف في جانب من خطبته زهد النبي موسى (ع) فيقول : « وإن شئت ثَنّيت بموسى كليم الله حيث يقول : ﴿ ربِّ إني لما انزلت اليَّ من خير فقير ﴾ ، والله ما ساله إلا خبزاً ياكله لأنه كان ياكل بقلة الأرض ولقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه لهزاله وتشذب لحمه » . (الخطبة رقم / ١٦٠- ص /٢٢٦ نهج البلاغة شرح الدكتور صبحي الصالح) .

ب – النبي داوود (ع) : ثم تحدث (ع) عن البني داوود فقال : « وإن شئت ثلثت بداوود سلام الله عليه صاحب المزامير

وقارىء اهل الجنة فلقد كان يعمل سفائف الخوص بيده ويقول لجلسائه أيكم يكفيني بيعها ويأكل قرص الشعير من ثمنها » .

ج - النبي عيسى (ع) : ثم يتابع (ع) فيقول : « وإن شئت قلت في عيسى بن مريم (ع) فلقد كان يتوسد الحجر ويلبس الخشن ويأكل الجشب وكان ادامه الجوع وسراجه بالليل القمر وظلاله في الشتاء مشارق الأرض ومغاربها وفاكهته وريحانة ما تنبت الأرض للبهائم ولم تكن زوجته تفتنه ولا ولد يحزنه ولا مال يلفته ولا طمع يذله دابته رجلاه وخادمه يداه » .

(نهج البلاغة ص / ٢٢٧- رقم /١٦٠ شرح الدكتور صبحي الصالح)

د - الرسول الأعظم (ص) : ثم قال (ع) : « فتأس بنبيك الأطيب الاطهر صلى الله عليه وآله فإن فيه أسوة لمن تأسى وعزاءاً لمن تعزّى وأحب العباد إلى الله المتأسي بنبيه والمقتص لاثره قضم الدنيا قضماً ولم يُعرها طرفاً إلى ان يقول عرضت عليه الدينا وأبي ان يقبلها وعلم أن الله سبحانه أبغض شيئاً فابغضه وحَقَّر شيئاً فحقَّره وصَغَّر شيئاً فصغّره ولو لم يكن فينا إلا حُبنا ما أبغض الله ورسوله وتعظيمنا ما صغر الله ورسوله لكفى به شقاقاً لله ومحاداة عن امر الله . ولقد كان صلى الله عليه وآله ياكل على الأرض ويجلس جلسة العبد ويخصف بيده نعله ويرقع بيده ثوبه ويركب الحمار العاري ويردف خلفه » ... الخ .

وبعد أن تحدث عليه السلام عن زهد النبي القائد (ص) وعدم

إهتمامه بالدنيا ختم حديثه بالتفاخر بتأسيه بالنبي (ص) متطرقاً إلى زهده وتقواه (ع) قائلاً : « والله لقد رقعت مدرعتي هذه حتى إستحييت من راقعها، ولقد قال لي قائل : الا تنبذها عنك فقلت : اغرب عني فعند الصباح يحمد القوم السرى » .

(نهج البلاغة ص / ٢٢٩- رقم النص /١٦٠)

نعم هكذا كان أنبياء الله تعالى وأصفياؤه كما وصفهم أمير المؤمنين (ع) الذين طافت أسماؤهم وشهرتهم كافة أرجاء الأرض وتحدتهم الدول الكبرى ووقفت في وجههم تلك الدول التي شيّدت قصورها على جماجم المستضعفين وشربوا دماء شعوبهم إبتداءً من إهرامات مصر مروراً بإيوان كسرى وإنتهاءاً بقصور الشام التي تفوق التصور والخيال والتي ظلت على مَرّ التاريخ وثائق حيّة تشهد على جرائم أولئك الطغاة الظلمة .

ولكن الأنبياء سلكوا طريقاً آخر غير هذا الخط ؛ لأن الأنبياء أرادوا أن يعلموا البشرية كيفية قيادة الناس وأين يكمن سرّ إدارة أمور البشر وخلاص المحرومين .

وفي هذا العصر خرج نور وحيد شع في ظلام هذا الليل الطويل ليوقظ الأمة من سبات عميق وليعيد لها مجدها وعزتها وكرامتها بعد أن سحقت وديست بالأقدام ذلك النور هو تلك الثورة الإسلامية المباركة التي إنطلقت من أرض الإسلام في إيران فأصبحت بارقة أمل يتطلع إليها المستضعفون والمحرومون في الأرض .

٦- السياسة الأخلاقية في الإسلام :

تنمية الأخلاق والسجايا الإنسانية السامية والإمتناع عن الإضطرابات الأخلاقية التي تدفع الإنسان إلى إصدار ردود الفعل حين يغضب من عدوه من الأمور التي إهتم بها الإمام (ع) ودائماً حتى في أشد المواقف المتأزمة أثناء الحرب تلك المواقف التي يجر فيها حب الإنتقام الإنسان إلى فعل كل شيء وكدليل على ذلك نذكر حادثة وقعت في معركة صفين :

حين قطع معاوية وجيشه من أهل الشام الماء عن الإمام علي (ع) وأصحابه ، أمر الإمام بإخراج الشريعة من تحت سيطرة الأعداء ولو بالقتال . لأن الحياة في إنتصار الحق والإستشهاد في سبيل الله والممات في الهزيمة والرضوخ للذل ؛ ودارت معركة طاحنة سيطر على أثرها جيش الإمام على المشرعة ؛ فاقترحوا عليه أن يقابلهم بالمثل ويحرم معاوية ومرتزقته من الماء فرفض الإمام (ع) هذا الإقتراح قال : « ما المجاهد الشهيد في سبيل الله باعظم اجراً ممن قدر فعف يكاد العفيف أن يكون ملكاً من الملائكة » (نهج البلاغة ص / ٥٥٩- رقم / ٤٧٤) .

وهناك موقف آخر للإمام (ع) وذلك عندما سمع بعضاً من أصحابه يسبون أهل الشام فقال لهم : « إني اكره لكم ان تكونوا سبّابين ولكنكم لو وصفتم اعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب في القول وابلغ في العذر وقلتم مكان سبّكم إياهم » ؛

« اللهم أحقن دماءنا ودماءهم وأصلح ذات بيننا وبينهم واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به » (نهج البلاغة ص / ٣٢٣ - رقم النص /٢٠٦) .

لم نسمع ولم نرَ في تاريخ العالم عن سياسي أو قائد عسكري يسلك هذا السلوك مع عدوه اللدود لأن غريزة حب الإنتقام والقضاء على العدو من الأمور التي لا تقبل أقل قدر من التساهل والتسامح في منطق أصحاب القوة وبالخصوص في ميادين الحرب والقتال ولكن الشخصيات الملكوتية كالإمام علي (ع) هي التي تلتزم فقط بالأصول والمبادىء الأخلاقية ... وهنا يحق لك أن تتساءل ؟ ! .

هل في السياسة أخلاق !! ؛ أم في الحرب أخلاق !! .

فما أصعب تصديق ذلك ولكن حين يحكم الإيمان ويمسك المؤمن بزمام السلطة والقيادة والأمور فتصديق ذلك يصبح أمراً سهلاً وطبيعياً .

وقد تقول مثل هذا الأسلوب قد يجلب بعض الأضرار والخسائر للسياسي وقد يجعل العدو أكثر جسارة وجرأة عليه . ولكن الذي يجب الإعتماد والإستناد إليه طبقاً للرسالة السماوية كعمل مؤثر في المدى البعيد هو إحياء الفضيلة والخصال الإنسانية بغض النظر عن الموقع والزمان والمكان لأن هذا ما تعتمد عليه فلسفة خلق الإنسان .

لذا كان المبدأ الأساسي عند الامام عليه السلام مراعاة الأصول الأخلاقية سواء فيما يتعلق بشخص الحاكم أو ما يتعلق بكرامة الشعب وشخصيته ، فقد كتب سلام الله عليه في عهده الى مالك الأشتر قائلاً : « وليكن أبعد رعيتك منك وأشنأهم عندك أطلبهم لمعايب الناس ، فإن في الناس عيوباً الوالي أحق من سترها فلا تكشفن عما غاب عنك منها ، فإنما عليك تطهير ما ظهر لك والله يحكم ما غاب عنك ، فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك » الى أن يقول عليه السلام : « ولا تعجلن الى تصديق ساع فإن الساعي غاش وان تشبّه بالناصحين » .

فهذه الفقرات من عهد الإمام (ع) تنص على أنه على الحاكم :

١ – الحيلولة دون إشاعة الفحشاء التي نهى القرآن عنها وذلك بستر العيوب قدر الإمكان وبالحد الذي لا يسبب المفاسد .

٢ – على الحاكم الحذر من الحقد والعداوة وحب الانتقام .

٣ – على الحاكم مكافحة استراق السمع وجمع الأخبار وما يشجع على نمو هذه الرذيلة بين الناس وطرد الساعين في جمع الأخبار لكي تستأصل هذه الطبيعة ويقضى عليها .

٤ – على الحاكم أن لا يُصدّق ما يدعيه الآخرون بسرعة لأن المفسدين كثيرون ، وليست الأقوال كلها عن حُسن نية ولو كانت بلهجة ناصحة ، بل عليه أن يتعامل مع الآخرين (حتى لو

كانوا أعدائه) على أساس قدر كاف من التحقيق وبعد أن يستجوب شهود العيان ليصون بذلك الحق ويدحض الباطل .

الفصل الرابع

العدالة في النظام السياسي الإسلامي

١- أهمية العدالة في نهج البلاغة :

العدل لغةً : الإنصاف وهو إعطاء المرء ما له وأخذ ما عليه .

(المعجم الوجيز ص /٤٠٩)

والعدل في نظر الإمام (ع) هو الأصل الذي يستطيع أن يحقق توزان المجتمع ويرضي جميع أفراده ويهب لهم السلام والأمن والطمأنينة والرضى ؛ أما الظلم والتمييز الطبقي فهو لا يرضي حتى نفس الظالم ، فكيف بالمظلومين والمحرومين .

والعدالة هي إحدى القيم التي أعادت إلى الحياة الإعتبار فالإسلام لم يوصِ أتباعه بالعدالة فحسب ولم يكتفي منهم بإجرائها وتطبيقها فقط بل رفع من قيمتها ووزنها وثقلها في أفكار الناس وهذا ما سمعناه من لسان الإمام علي (ع) عندما سأله رجل : العدل أفضل أم الجود ؟ . هذا الرجل سأل الإمام عن خاصتين من الخصائص الإنسانية .

فالإنسان هارب من الظلم وشاكر للإحسان ؛ قد يبدو لأول وهلة ولأول نظرة أن يكون الجواب وبكل سهولة أن الجود أفضل من العدل ؟ لأن العدالة هي رعاية لحقوق الآخرين وعدم التعدي عليها وعدم تجاوزها .

أما الجود فهو أن ينشر الإنسان بيده حقوقه المفروضة له على غيره فالعادل حافظ للحقوق غير متجاوز عليها . أما الجواد فهو

يقدم ويضحي بحقوقه للآخرين .

فالجود أفضل والجواد أنبل .

هذا إذا كانت مقاييسنا هي المقاييس الأخلاقية الفردية فعليها يصبح الجود أصل معرّف لشخصية الإنسان وأسمى سمه لكماله وأعلى علاقة لرقي روحه .

ولكن الإمام (ع) يجيب بعكس ذلك فهو يُرجّح العدل على الجود وذلك بدليلين :

١ - العدل يضع الأمور مواضعها والجود يخرجها من جهتها . أي معنى العدالة أن تلاحظ الحقوق الواقعية والطبيعية فتعطي لكل شخص ما يستحقه حسب إستعداده وتحمّله وحينئذٍ يجد كل شخص مكانه في المجتمع .

٢ - العدل سائس عام أما الجود فهو عارض خاص : أي العدالة هي قانون عام يدير جميع شؤون المجتمع فهو سبيل يسلكه الجميع أما الجود فهو حال إستثنائي خاص ولا يمكن أن يصبح قانوناً عاماً وإذا كان كذلك لم يحسب المرء جواداً آنذاك .

فالعدل بنظر الإمام علي (ع) هو الأصل الذي يستطيع أن يصون توازن المجتمع ويرضيه ويهب له السلام والأمن والطمأنينة والإستقرار .

أما الظلم والجور والإضطهاد والتمييز الطبقي والعنصري لا يرضى حتى نفس الظالم والذي يظلم من أجله فكيف بالمظلومين

والمحرومين . فالعدل سبيل عام يسع الجميع ويصل بهم إلى حيث الطمأنينة والإستقرار والسعادة النفسية .

أما الظلم فهو طريق ضيق لا يصل حتى بصاحبه إلى ما يريد .

والعدالة على قسمين :

١- العدالة الخلقية .

٢- والعدالة الإجتماعية .

العدالة الخلقية هي أساس العدالة الإجتماعية إذ لو لم يتصف الأفراد بالعدالة فكيف يمكن لأي مجتمع أن يتصف بها ؟ . أليس المجتمع مجموعة من الأفراد ؟ .

وعلى هذا فإنتظار العدالة الإجتماعية مع عدم تنمية الإيمان والأخلاق والتقوى وخشية الله وهم من الأوهام . ومن هنا تنشأ مشاكل المجتمعات البشرية المتمثلة في تسلط الجبارين والظلمة وينشأ التمييز بين الأفراد فتنعدم العدالة .

لذلك لابد من بناء الإنسان وتربية أفراد عدول ليكونوا أهلاً لتسلم زمام أمور المجتمع وبذلك يمكن أن نأمل تحكيم العدل وإستقرار العدالة الإجتماعية وهو بالضبط ما عكسه كلام الإمام علي (ع) عندما قال : « بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد » . (نهج البلاغة ص / ٥٠٧- رقم /٢٢١) .

فبنظر الإمام العدالة هي وظيفة إلهية فلا يجوز أن يقف المسلم

العارف بالإسلام وقفة المتفرج عند ترك الناس العدل ولجوئهم إلى الجور والظلم والتمييز الطبقي .

يحدثنا التاريخ أن عثمان بن عفان قد وهب قسماً كبيراً من الأموال العامة للمسلمين إلى أقربائه وذويه في أيام خلافته ولما أخذ الإمام علي (ع) أزمة الأمور طُلِبَ إليه أن لا يعيد النظر في هذه الأموال وأن يغض الطرف عما مضى ولكنه (ع) أجاب :

« الحق القديم لا يبطله شيء والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الإماء لرددته فإنه في العدل سعة ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق » . (نهج البلاغة ص٥٧ رقم١٥) .

هنا عليه السلام يقصد أن في العدل سعة خاصة تسع الجميع وتشملهم ولكن من كان مريضاً متخماً لا يسعه العدل ؛ فليعلم أن مكانه في الجور والظلم أضيق عليه من مكانه في العدل والقسط .

المعنى : إذا ضاق تدبير الأمور على الوالي بالعدل فتدبير الأمور بالجور أضيق عليه لأنه حينئذٍ سيكون في مظنة من الناس وكلما بلغ مبلغاً من شهواته يعطش إلى أمور أخرى لم يبلغها فيعطش أكثر وأكثر كالذي يشرب الماء المالح .

٢- عدم التضحية بالعدالة :

يقول السياسيون : إن إيجاد الأعوان وتأسيس الأحزاب وسد الأفواه بالمال من الوسائل الضرورية لحسن سير السياسة والتدبير كما كان يصنع معاوية .

ولكن الإمام علي (ع) كان العدو اللدود لهذه الوسائل والأدوات الضرورية .

بل كان هدفه وأمله أن يكافح هذه السياسة وطبيعي حنيئذٍ أن يتألم أرباب المصالح والطامعين منه منذ اليوم الاول لإستلامه الخلافة . وذلك الألم جرّهم إلى التخريب وخلق الإضطرابات والفتن والقلاقل . لهذا فقد أقبل على الإمام (ع) أحباؤه الخيّرون المخلصون وطلبوا إليه من باب النصيحة أن يُعدّل من سياسته هذه لمصلحته كما يتصورن كما إقترحوا عليه إن يريح نفسه من صراع هؤلاء الطامعين قائلين له : ما ضرّك لو سكتّ عن المساواة اليوم من أجل (المصالح) ثم قالوا له : يا أمير المؤمنين أعط هذه الأموال وفضل هؤلاء الأشراف من العرب وقريش على الموالي والعجم وأستمل من تخاف عليه من الناس بالمال !! وهم بذلك ناظرين إلى ما كان يصنع معاوية . ولم يكن رؤساء القبائل في العراق يطمعون بأكثر من هذا .

ولكن الإمام (ع) أجابهم قائلاً : « اتامروني ان اطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه والله ما اطور به ما سمر سمير وما ام نجم

في السماء نجما ؛ لو كان المال لي لسويت بينهم فكيف وإنما المال مال الله ؛ إلا وإن إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف وهو يرفع صاحبه في الدنيا ويضعه في الأخرة ويكرمه في الناس ويهينه عند الله (نهج البلاغة ص /١٨٣/رقم / ١٢٦) .

وهكذا فقد صارت الشام ملجأ لمن يغضب عليه الإمام لخيانة خانها في عمله أو ظلم جرّه على نفسه وصارت الشام مطمحاً لمن يريد الغنى والمنزلة الإجتماعية .

بالفعل فقد فعلت سياسة معاوية فعلها في مجتمع الإمام فأقدم رؤساء أصحابه على الخيانة وتخاذلوا عن نصرته فلا يجيبونه حين يدعوهم ولا ينصرونه حين يستنصرهم وما أكثر خطبه (عليه السلام) وكلماته التي أعلن فيها شكواه منهم فقال في أحدى خطبه : « يا اشباه الرجال ولا رجال حلوم الأطفال وعقول ربات الحجال لوددت اني لم اركم ولم اعرفكم معرفة والله جرّت ندماً واعقبت سدماً قاتلكم الله لقد ملئتم قلبي قيحاً وشحنتم صدري غيظاً وجرّعتموني نغب التهمام انفاساً وافسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان حتى قالت قريش ان ابن ابي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب لله ابوهم وهل احد منهم اشد لها مراساً واقدم فيها مقاماً مني لقد نهضت فيها وانا ابن العشرين وها انذا قد ذرفت على الستين ولكن لا راي لمن لا يطاع » .

(نهج البلاغة رقم الخطبة / ٢٧/ص / ٦٩)

وقد كان (ع) يعرف كيف يجعلهم يميلون إليه لو اراد فيعطيهم الأموال ويجعلهم على رقاب الناس ويرضي غرورهم القبلي ولكن ذلك كان ينقلب به إلى جبار يدعم ملكه بالسيف والمال بدل أن يكون أباً للجميع يدعم سلطانه قلوب الناس ولقد قال لهم مرة : « واني العارف بما يصلحكم ويقيم اودكم (أعوجاجكم) ولكن لا ارى إصلاحكم بإفساد نفسي » .

٣- الهروب من العدالة :

الصراحة وعدم المجاملة في تطبيق العدل تولد مشكلة تتمثل في أن طلاب الدنيا لا يتحملون تطبيقه فيديرون ظهورهم عنه طلباً لتحقيق آمالهم الدنيوية . وبذلك يسببون أسفاً وحزناً في نفوس رجال العدالة كما يؤدون بالمجتمع إلى إنعدام العدالة .

ومع أن هذه السياسة مرفوضة من قبل أصحاب المصالح والغايات وأصحاب الدبلوماسية المحافظة والنفعيين .

ولكن إختلاف السياسة الإلهية عن السياسة الشيطانية يكمن في هذه النقطة لأن المحور في السياسة الشيطانية هو المصلحة وبلوغ الآمال والتي تتلخص في الماديات والشهرة والشهوة وحب الرئاسة في حين أن المحور في السياسة الإلهية هو الحقيقة والواقع الذي تفقد الماديات قيمتها في مقابله بل ويضحي من أجله بأعز الناس فكما إن الإمام (ع) ذهب شهيد العدالة فاستشهد في محرابه لشدة عدله علينا نحن أيضاً أن نضحي بالكثير من مصالحنا إذا أردنا للعالم أن يرى ثمار العدل وآثار الحقيقة ولكي تبقى الحقيقة خالدة .

هذا هو منطق الإمام علي (ع) وهذا ليس أمراً عجيباً بل العجيب أن يهرب الناس من العدل ومن أحضان الإمام الذي نشر العدل في كل مكان واللجوء إلى أحضان أعداء الحق ومحاربيه لنيل جائزة أو رشوة أو جاه أو منصب أو مال .

٤- العدالة والرحمة للجميع :

دائرة العدل والحق والرحمة تتسع في منطق الإمام (ع) حتى تشمل أبعد من حياة البشر فتسع الكائنات جميعها من حيوانات ونباتات وجمادات ويمكن لنا العثور على كثير من الشواهد على هذا الإدعاء .

قال عليه السلام : « إتقوا الله في عباده وبلاده فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم » . (نهج البلاغة) .

فالأرض والحيوان غير العاقل نحن لم نلاحظ على مر التاريخ أن هناك قانوناً يعطيها حقوقاً .

والمجتمعات المتحضرة تتشدق بالدفاع عن الحيوان إلا أن ذلك ليس سوى إدعاء ظاهري ؛ لأن إدعاء الدفاع عن حقوق الحيوان في مجتمعات تنتهك فيها حقوق الإنسان الذي يقوم ليطالب بحقه فتقوم الدنيا كلها عليه على أساس أنه إبن الجارية وهم أولاد الست هذا نفاق ودجل لذلك فهم لا يملكون دليلاً واقعياً صحيحاً ومصداقاً حقيقياً مقبولاً على أنهم يدافعون عن حقوق الإنسان والحيوان . هذا في الأنظمة الوضعية .

ولكن نرى في ظل الأنظمة والرسالات السماوية كيف أن أفراداً من البشر مسلمين وغيرهم تمتعوا بعدالة علي (ع) الذي قال لمالك الأشتر أحد عماله :

« واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم اكلهم فإنهم صنفان : إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق » . (نهج البلاغة - ص / ٤٢٦- رقم /٥٣) .

هنا نلاحظ أن الكلام يدور حول الإنسانية ولا يقتصر على الإسلام لأن دائرة العدل واسعة تشمل كل إنسان سواء كان مسلماً أم مسيحياً أو يهودياً أو مادياً ملحداً .

فالظلم بحق أي إنسان ومن أي دين انتمى شيء مرفوض وغير مقبول .

٥ - من مسؤولية قادة العدل :

يقول الإمام علي (ع) : « اأقنع من نفسي بأن يقال هذا أمير المؤمنين ولا اشاركهم في مكاره الدهر أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همّها علفها أو المرسلة شغلها تقممها تكترش من أعلافها وتلهو عما يراد بها » . (نهج البلاغة ص / ٤١٦- رقم ٤٥/) .

ويقول عليه السلام أيضاً : « إن الله فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيغ بالفقير فقره » .
(نهج البلاغة رقم النص / ٢٩ - ص /٣٢٤)

من خلال هذه النصوص نرى أن مسؤولية قادة العدل تذهب إلى أبعد من مراعاة الحقوق القانونية الأولية وتبلغ حد الإحسان والزهد وترويض النفس .

فمن مسؤولية الحاكم الصالح أن يشارك رعيته في أمورهم ويعيش أوضاعهم فيتعرف على آمالهم وآلامهم وما يطمحون إليه ويعي حاجاتهم ومخاوفهم فيعمل لخيرهم كما يضع كل شيء مما يصلحهم موضعه ويشعرهم ذلك برعايته لهم وحياطته لأمورهم وعمله لصالحهم فحينئذٍ يدعمون حكمه بحبهم وإيثارهم له ويؤازرونه في السراء والضراء على السواء .

ولا يحصل أي شيء من هذا إذا ما أغلق الحاكم دونهم قلبه

كما يحصل في مثل هذه الأيام وأغمض عينيه فإنه حينذاك لا يعرف شيئاً من أمورهم ليعمل على إصلاحها لأنه بعيد عنهم وتكون عاقبة ذلك أنه يفقد حبه في قلوبهم كما يشعرون بأنه شيء غريب عنهم ومفروض عليهم كالحشرة الطفيلية التي تعيش على دماء الحيوان الذي تلتصق به .

ثم لو اتبع الحاكم أسلوب العدالة مع شعبه فسوف تنجذب اليه القلوب والنفوس ، وهذا مما يضمن تعزيز أركان حكمه وتوطيدها لذلك فالعدالة الاجتماعية هي بارقة أمل للشعب الذي حين يتأكد من عدم وجود محور غير الحق والعدل فسوف يسلك الطريق المنطقي المقبول لبلوغ أهدافه وتحقيق مطالبه ، في حين أن اليأس من العدالة يجر الناس الى المكائد والاستغلال الخاطئ والرشوة والمخالفة ، وقد وصف أمير المؤمنين (ع) هذا المصير الذي ينتظر المجتمع الاسلامي بأنه كارثة حيث قال في خطبة له (ع) بعد بيعة الناس له في المدينة : « والذي بعثه بالحق لتبلبلن بلبلة ولتغربلن غربلة ولتساطنّ سوط القدر حتى يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم ، وليسبقنّ سابقون كانوا قصّروا وليقصرنّ سباقون كانوا سبقوا » (نهج البلاغة) .

٦- قصة تُحدّثنا عن عدالة علي (ع) :

عدالة علي (ع) عدالة فريدة لم يلاحظ مثلها على مر التاريخ فقد كان يطبقها حتى مع أقرب أفراد أسرته وبشكل حازم وصارم لأنها ناشئة من تقواه وزهده المنقطع النظير .

فقد أثبت الإمام علي (ع) أنه عملياً يلتزم بالعمل بما يقوله فيتحدث عن قضية حدثت له مع أخيه عقيل فيقول : « والله لقد رايت عقيلاً وقد املق حتى استماحني من بركم صاعاً ورايت صبيانه شعث الشعور غبر الألوان من فقرهم كانما اسودت وجوههم بالعظلم وعاودني مؤكداً وكرر عليَّ القول مردداً فاصغيت اليه سمعي فظن اني ابيعه ديني واتبع قياده مفارقاً طريقتي فاحميت له حديدة ثم ادنيتها من جسمه ليعتبر بها فضجَّ ضجيج ذي دنف من المها وكاد ان يحترق ميسمها . فقلت له : ثكلتك الثواكل يا عقيل أتئن من حديدة احماها إنسانها للعبه وتجرني الى نار سَجَّرها جبارها لغضبه أتئن من الأذى ولا ائن من لظى » .

(من كلام له عليه السلام في نهج البلاغة ص / ٣٤٧- رقم /٢٢٤)

وهناك قصة ثانية حدثت مع الأشعث بن قيس الذي جاء ليرشي الإمام (ع) بالمال لقاء حاجة معينة يقضيها له فيقول (ع) : « واعجب من ذلك طارق طرقنا بملفوفة في وعائها ومعجونة شنائها كانما عجنت بريق حية أو قيئها ؛ فقلت اصلة ام زكاة ام صدقة فذلك محرم علينا اهل البيت فقال : لاذا ولا ذاك ولكنها

مدية ! . فقلت : هبلتك الهبول أعن دين الله أتيتني تخدعني ؟ . أمختبط أنت أم ذي جنة أم تهجر ؛ والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على ان أعصي الله في نملةٍ اسلبها جلب شعيرة ما فعلت وإن دنياكم عندي أهون من ورقة في فم جرادة تقضمها ما لعلي ولنعيم يفنى ولذةٍ لا تبقى .

فماذا يريد الظالمون سوى الدنيا وشهواتها وجميع المظالم والرذائل تنبع من الشهرة والمال واللذة والرئاسة والعبارات الأخيرة من كلام الإمام (ع) تعلمنا الإمتناع عن الظلم مهما كان بنظرنا صغيراً في نملة أسلبها شعيرة ما فعلت وأن نفكر بوعي وهدوء وأن نخاف الله عز وجل ونستعين به ونتوكل عليه وحده إنه تعالى نعم المولى ونعم النصير .

وختاماً . . .

يقول عليه السلام لمالك الأشتر :

« ثم إعلم يا مالك إني قد وجهتك الى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور وإن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من امور الولاة قبلك ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على السن عباده فليكن احب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح فاملك هواك وشح بنفسك عما لا يحل لك فإن الشح بالنفس الإنصاف منها فيما احبّت او كرهت ؛

واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكونَنّ عليهم سبعاً ضارياً تغتنم اكلهم فإنّهم صنفان : « إمّا اخ لك في الدين او نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على أيديهم في العمد والخطا فاعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه فإنّك فوقهم ووالي الأمر عليك فوقك والله فوق من ولاّك وقد إستكفاك امرهم وإبتلاك بهم ولا تنصبنّ نفسك لحرب الله فإنّه لا يد لك بنقمته ولا غنى بك عن عفوه ورحمته ولا تندمّن على عفو ولا تبجحنَّ بعقوبة ولا تسرعن الى بادرة وجدت منها مندوحة ولا تقولن إني مؤمر آمر فاطاع فإن ذلك إدغال في القلب ومنهكة للدين وتقرب من الغير » .

إلى أن يقول عليه السلام :

« انصف الله وانصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك وممن لك فيه هوى من رعيتك فإنك إلا تفعل تظلم ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ومن خاصمه الله أدحض حُجته وكان لله حرباً حتى ينزع ويتوب وليس شيء أدعى الى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم فإن الله سميع دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد » .

وآخر دعوانا

أن الحمد لله رب العالمين

مصادر البحث

١ ـ القرآن الكريم.
٢ ـ تفسير الكاشف للشيخ محمد جواد مغنية (قدس سره).
٣ ـ نهج البلاغة شرح الدكتور حجي الصالح.
٤ ـ نهج البلاغة شرح الشيخ محمد عبده
٥ ـ الحكومة الاسلامية للامام الخميني (قدس سره).
٦ ـ نظرية السياسة والحكم في الاسلام للسيد محمد حسين الطباطبائي.
٧ ـ في ظلال نهج البلاغة للشيخ محمد جواد مغنية.
٨ ـ المعجم الوجيز مجمع اللغة العربية.
٩ ـ دراسات في نهج البلاغة للإمام الشيخ محمد مهدي شمس الدين.
١٠ ـ دراسات في السياسة والاحزاب لمحمد المجذوب.
١١ ـ دروس سياسية في نهج البلاغة للشيخ محمد تقي رهبر.
١٢ ـ في ظلال التشيع لمحمد علي الحسيني.
١٣ ـ ميزان الحكمة لمحمد الري شهري.
١٤ ـ في رحاب نهج البلاغة للشهيد مطهري.

المحتويات

الموضوع الصفحة